التربة الحسينية في البعد الروحي والتاريخي عند المسلمين

الباحث
الشيخ منير صادق الكاظمي
مكتبة الجوادين العامة ـ مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسوله الهادي الأمين، محمد المصطفى واله الطهر الميامين، دوائر العلوم وأصحاب المعارف، الذين شرفنا الله بولايتهم وعرفنا منزلتهم، كانت ومازالت وستبقى المنظومة العقائدية للإنسان وهو يعيش على هذه الأرض موضوعا يمتلك من الأهمية الكبيرة، ذاك لان العقائد لها من الريادة الشيء الكبير في تقويم سلوك الإنسان من هنا تجد كم هي رعاية الله عز وجل بهذا الإنسان كبيرة وهو يخوض غمار هذه الحياة وحلقات هذا العمر، لم يتركه يتخبط الطرق والأهواء وهو يختار عقيدته، فكان من مظاهر لطفه بهذا الإنسان، تواتر بعثة الأنبياء من الله إلى العباد وتسلسلها على مدى العصور شعار لازم الإنسانية في تاريخها ليحدد له حركته نحو الكمال كما صرح القران بذلك، وقد احتج على عباده بهذه الحركة السماوية، يقول تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1].

وفي هذا الشأن يقول على عليه السلام في إحدى روائعه في نهج البلاغة : فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته... ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم آيات المقدرة... إلى أن بعث فيه سبحانه محمدا رسول الله، لانجاز عدته وإتمام نبوته فهداهم من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة[2].

كل هذا الاهتمام وهذه الرعاية من الله للعباد، خوفا من أن ينصرف الذهن البشري إلى مالا يحمل عقباه من الالتباسات التي يقع بها الكثير، فيكون ظاهرا على سلوكياتهم، وهذا التاريخ وهو يحفل بنقل المشاهد والشواهد التي بها كفرت أقوام أقواما وطعن بعض على بعض، فكم من هذه الأحداث لم تستند لدليل ولم تقم على بينة، شاع الظلم بها

بصوره وصل حد البشاعة من التهريج والتزوير والكذب والتشنيع والاتهام، وهنا لابد أن نشير إلى جانب مهم وهو ان النقاش والجدال متى ما قام على الحوار الهادف فلاشك ولا ريب في أن التعارف والتعايش والتقارب هو الشعار والمعيار في منظومة العلاقات بين بني الإنسان لا التهاتر والاختلاف، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[٣]، ومشهد من تلك المشاهد التي تحمل في تضاعيفها وبين طياتها صورة التشنيع والتهريج من قبل البعض ممن لا يسيرون مع الدليل وهو يطلق الأحكام على غيره، موضوع له وقع في صميم الأمة الإسلامية، أعني به (قدسية التربة الحسينية) زادها الله علوا، تلك التربة لقبر شهيد الإسلام الخالد وابن النبي المصطفى، الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، تلك التربة التي ورد في ماورد من شانها أن رسول الله صلى الله عليه وآله شمها ففاضت عيناه حرمة لها ورفعها جبرائيل على يديه[٤]، تلك التربة التي يقول عنها إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عندما يخاطب جده الحسين عليه السلام بقوله: أشهد انك طهر طاهر مطهر من طهر طاهر مطهر طهرت وطهرت بك البلاد وطهرت ارض أنت فيها، تلك التي لم يكن موضوع تقديسها شأن يخص طائفة دون أخرى من طوائف المسلمين بل هي شأن إسلامي بحت[٥]، مما دفع بأتباع أهل البيت زادهم الله شرفا، ان يتخذوا من هذه التربة الشريفة الطاهرة موضع سجود لله عز وجل على نحو الاستحباب في صلاتهم[٦]، ولكن الفعل الذي قاموا به وهم ينظرون بعين الإكبار لهذه البقعة يبدوا انه أثيرت عليه المؤاخذات فوصلت إلى التهم الباطلة التي منها أن يكفر أتباع مدرسة أهل البيت، عندما حاول البعض من خصومهم ممن لم تكن لغتهم لغة الدليل، بإثارة شبهة اتهموهم بها بالبدعة، وارتوت وأينعت على مر الأيام فأصبحت ثمرة ناضجة زادوها نغمة أخرى فقالوا إنها وثنية، وان السجود على تربة الحسين ضرب من عبادة الأصنام والأوثان ولاحول ولا قوة إلا بالله، وقد هيأ الله عز وجل للدفاع عن حريم الرسالة وحرمة عمل المؤمن وصيانة عمله قوم أفذاذ أغنونا عن التعرض لمثل هذه الأباطيل، وقد وقفت في هذا الشان على رسالة على إيجازها يتسلمها جيلنا المعاصر وهي تحمل بين طياتها عناصر إبداع وتطوير في حركة الدراسات العلمية و العقائدية والتربوية وحزمة ضوء على طريق الفكر الإمامي، افاض بها يراع سماحة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء قدس سره بعنوان (رسالة في الارض والتربة الحسينية)،

وعلى هذه الرسالة كانت هذه الدراسة وقد وظفت بعض الشواهد منها والنصوص مع مقابلتها مع الاخبار، سواء من كتب الحديث أو الاصول التاريخية المعتبرة للوقوف على موضوع التقديس لبعض تراب البقاع المشرفة في هذه الأرض، فخرج البحث بالعنوان اعلاه ومقدمة ومبحثين:

المبحث الأول بعنوان: بعنوان المسلمون وقدسية التربة

واما المبحث الثاني: أضواء على التربة الحسينية بالبعدين التاريخي والروحي

بقي أن نشير إلى إن الرسالة طبعت عدة طبعات، والتي في أيدينا كان الناشر لها المجمع العالمي لأهل البيت : في قم، سنة الطبع ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥م، محققة بحلة جديدة عن سابقاتها،عدد صفحاتها إحدى وثمانون، مطبعة نكين.

المسلمون وقدسية التربة:

إن أروع صور الحياة الفكرية ونشاطها العلمي لدى أية أمة، هو اندلاع النقاش العلمي والفكري بين أقطاب اتجاهاتها الفكرية المختلفة ومذاهبها المتنوعة شرط ان يكون في جو علمي موضوعي رصين لا يسوده التهريج والإسهاب بقدر ما يكون قائم على اعتماد لغة الدليل ولغة الدليل هي لغة القران وأهل العلم، فالله عز اسمه يقول (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)[٧]، وفي موضع آخر يقول الحق جل وعلا(وكذلك جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)[٨] وهذا ما يجب أن يكون في مجتمعنا الإسلامي، الكل من الأطراف يندفع للنقاش لرعاية المسؤولية الملقاة عليه للدفاع عن حريم الرسالة، وان يكون النقاش نقاشا موضوعيا فيه روح التجرد بعيد عن كل ميول نفسي أو غيره، يكون السبب منه طلب الحقيقة ودفع الشبهات والبدع عن ديننا الحنيف، وان يكون كل طرف فيه يحمل روحا عالية في تقبل الحقيقة أنى يكون شكلها وحجمها، فإذا كانت لغة الحوار تحمل من هذه الروحية، فلاشك إنها عامل حضاري ومؤشر ايجابي في تاريخ الأمم والشعوب يساهم في تقارب الأفكار وإزالة عوامل الضبابية للكشف عن الحقائق، ويساهم أيضا في التعايش السلمي بين الناس، ولاشك إن الاختلافات الداعية للتناحر سوف تزول وتندحر، وحتى لا يطول بنا الحديث ونقف على مسألة من السلوكيات التي شنع بها نفر

على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ألا وهي تقديسهم لهذا التراب الطاهر، واستخدامهم التربة الحسينية موضعا يصح السجود عليه استحبابا، حيث روج هذا النفر وكبر القضية إلى مالا تستحق من هذا الاهتمام وهذا التشنيع، فكان للشيخ محمد الحسين قدس سره أجوبة شافية ووافية فيما ما أثير في الموضوع من لغط وافتراءات، أفرده في بعض النصوص وقدم الأخبار والروايات الدالة على شأن التقديس للأرض على النحو العام والتربة الحسينية خاصة في كتابه الذي ذكرناه في المقدمة (رسالة الأرض والتربة الحسينية) حيث يقول في ص٢٨من الرسالة: أليست هذه الأرض حرية اذا بالتقديس والكرامة والإجلال والعظمة وان نسجد عبودية لله على النظيف منها تكريما لها وشكرا لعظيم نعمته تعالى علينا بها وتنشيطا للحركة الفكرية للانتقال من عظمتها إلى عظمة خالقها.... ثم يقول قدس سره في ص٢٩: (إن هذه الأرض مع وحدتها وتساوي بقاعها وأجزائها ظاهرا ولكنها في الامتحان وفي ظاهر العيان أيضا مختلفة أشد الاختلاف في البقاع والطباع والأوضاع ففيها الطيبة والخبيثة والحلوة والمالحة والسبخة والمرة، واليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾[٩]، إلى أن يقول في نفس الصفحة: (ثم لو تحرينا هذه السهول العراقية وجدنا من القريب إلى السداد القول إن أسمى تلك البقاع، وأنقاها تربة وأطيبها طينة، وأذكاها نفحة هي تربة كربلاء تلك التربة الحمراء)، بعد الاطلاع على هذين النصين اللذين لخصا باختصار عقيدتنا في هذه التربة، أقول لم يكن هذا التقديس للتراب بشكله العام وللتربة الحسينية بالوضع الخاص مختص بأتباع مدرسة أهل البيت :، وإنما هذه الأخبار المروية في كتب المسلمين تصور لنا طبيعة هذا التقديس الذي هو من صميم سلوكيات المسلمين بشكل عام حتى عد هذا السلوك شأنا إسلاميا يمارسه المسلمون من الزمن الأول للرسالة وحتى يومنا هذا.

فقد ورد في كتاب كنز العمال عن محمد بن شرحبيل قوله : اقتبض إنسان من تراب سعد بن معاذ ففتحها فإذا هي مسك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، حتى عرف ذلك في وجهه، انتهى

قال المؤلف سنده صحيح[١٠].

وان أدنى تعليق على الرواية إنها في محضر النبي ﷺ ولو كان في الفعل معيب يستدعي الاستنكار لاستنكره رسول الله ﷺ، والأمر الثاني الرواية حملت معها مرحلة زمنية للمسلمين أنها في الصدر الأول، والأمر الثالث أن سعد بن معاذ له مقامه الشريف في الإسلام فكان من ترابه أن تحول الى مسك، ولكن لا اظن أنه يصل إلى قداسة رجل طالما أجمعت الآيات والروايات في فضله اعني الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، الذي يكفي التنويه بفضله، أنه من القربى الذين أمر النبي بمودتهم(١١)، فلماذا لا نقف على التراب الذي مس جسده الشريف.

واخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قترة من تراب(١٢).

وفي هذا الخبر توسع أكثر في مفهوم تراب الشهيد، فتأمل.

وفي هذا الباب يروي أبو نعيم الاصبهاني في حديث إن عبد الله بن غالب يوم قتل وهو صائم كان الناس يأخذون من تراب قبره كأنه مسك يصرونه في ثيابهم(١٣).

وهذه حادثة أخرى تكشف عن سلوكية المسلمين في تقديسهم للتربة الشريفة لأولياء الله الصالحين

وفي كتاب وفاء الوفا وهو يتحدث عن قيام المسلمين من أخذ تراب قبر رسول الله ﷺ للتبرك قوله: عن المطلب قال :كانوا (أي المسلمين) يأخذون من تراب القبر فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوة، فكان الناس يأخذون من هذه الكوة فقامت بسد هذه الكوة. انتهى(١٤).

أقول ترى من فعل زوج النبي من بناء الحائط، والناس مازالوا يأخذون التراب، ثم ما إن رأوا كوة في الجدار عادوا لأخذ التراب إلى أن سدت الكوة، كل هذا الفعل من الناس في ذالك الوقت لاشك ولاريب يترجم حرص الناس على الحصول من هذه التربة للتبرك، ثم إذا قلنا إن الناس في ذلك الوقت فلاشك ولاريب المعني بهم جزء كبير من الصحابة.

وإذا تحولنا في هذا الحديث إلى زمن يبتعد عن عصر الرسول، للنظر في أفعال المسلمين وتعاملهم مع البقاع الطاهرة وقدسيتها، فمثلا يحدثنا ابن جبير(١٥) في رحلته يقول واصفا

بعض المشاهد في مكة المكرمة، ومنها دار خديجة3وموضع ولادة النبي ومولد ابنته فاطمة 3فيقول: ومسحنا الخدود في هذه المساقط المكرمة المخصوصة بمس بشرات المواليد الكرام، ثم يقول: عن الموضع الذي ولد فيه النبي ﷺ حسب تعبيره(الذي سقط فيه عليها السلام) فيا لها من تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط أطهر الأجسام ومولد خير الأنام[١٦].

ثم يقول متحدثا عن دار خديجة عليها السلام يقول: وفي الزقاق الذي الدار المكرمة فيه مصطبة فيها متكأ، يقصد الناس اليها ويصلون فيها ويتمسحون بأركانها لأن في موضعها كان قعود النبي.

ثم يصف بن جبير حال الناس وهم يرومون دخول الغار الذي اختبأ به مع صاحبه فيه، ويصف لنا كم يتكلفون للوصول إليه والتبرك فيه[١٧].

ثم يقول متحدثا عن بعض مشاهداته في مكة وآثارها، ولاسيما عن حجر قبال دار أبي بكر، يقول: ويقابلها حجر مبارك يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على رسول الله متى اجتاز عليه[١٨]، ومن مشاهداته التي يحكيها في مكة المعظمة متحدثا عن موضع كان النبي يستريح به عند مجيئه من العمرة يقول: فيتبرك به الناس بتقبيله ومسح الخدود فيه ويستندون إليه (أي يتمسحون بظهورهم به)، يقول بن جبير معلقا على هذا الفعل: وحق ذلك لهم لتنال أجسامهم بركة لمسه[١٩].

ويقول بن جبير وهو يصف بعض مشاهداته عندما انتقل إلى المدينة الطيبة (المدينة المنورة) يقول وهو في موضع شهداء احد: وحول الشهداء تربة حمراء هي التربة التي تنسب إلى حمزة عم النبي ويتبرك الناس بها، جاء ذلك في ص١٥٥ من الطبعة المشار إليها في الهامش.

ثم تجد بن جبير وهو يتحدث عن مشهد آخر في دولة أخرى من دول المسلمين وهي بلاد مصر، وفي خصوص ما نحن فيه يتحدث عن المسلمين في تلك الفترة من الرحلة وهم يحضون بالحضور عند مشهد قبر الحسين بن علي عليه السلام فيقول: وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة، ومتضرعين ما يذيب

الأكباد ويصدع الجماد، والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول، نفعنا الله ببركة ذلك المشهد[٢٠] انتهى.

وقد بلغ من تقديس تراب بعض الأمكنة، كراهة إخراج شيء من تراب تلك البقعة إلى خارجها ولاسيما تراب مكة (الحرم) إلى موضع الحل[٢١] حسب ما يروى عن ابن عباس وابن عمر.

وورد فيما ورد في هذا الشأن ما جاء في ترجمة أبو إسحاق الشيرازي وكيف كان الناس يوقرونه فقد جاء في ترجمته قولهم[٢٢] فكان يخرج إليه أهل البلد بنسائهم وأولادهم يمسحون أردانه، ويأخذون تراب نعليه يستشفون به.

أقول بعد حشد هذه الأخبار مما سمح به الوقت، مع مراعاة التسلسل الزمني لها، توضح لنا طبيعة سلوكيات المسلمين من بلد إلى بلد ومن زمن إلى زمن، وهم يشتركون بمفهوم من صميم عقائدهم ألا وهو قدسيتهم لتراب تلك البقاع الطاهرة والبقاع المقدسة، بل وكل شيء دل على ملامسته أجساد الطاهرين المتمثلة بمحمد واله الطاهرين والأولياء الصالحين، وان هذا الشأن من التقديس لم يكن يخص طائفة دون أخرى من طوائف المسلمين وإنما هو شأن وتراث إسلامي ظاهر على سلوك كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا وقف المسلم عند قبور الآل الكرام للنبي ﷺ، زائرا لقبور تلك العترة الطاهرة التي قال في حقها رسول الله ﷺ: ان مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى[٢٣]، فلا أظن أنه من الإنصاف أن يرمى بالتكفير والتحقير والشتم والتزوير، وما الضير في ما لو أن هؤلاء المحبين للحسين عليه السلام في سيرته التي هي سيرة جده المصطفى ﷺ قد اخذوا من ذلك الطين من سهول ووديان ارض كربلاء التي ضمت جسد الحسين عليه السلام،من التربة النظيفة فيتخذون منها ما هو مسجدا (بفتح الجيم) للجبهة يسجدون عليه لله في صلاتهم على نحو الاستحباب، فإذا جرى عليها الاتهام ظلما وبهتانا فلابد أن يجري على المسلمين قاطبة ولا حول ولا قوة الا بالله.

ولاسيما إن الأخبار تنص على أن الوقوف على قبر الحسين بن علي عليهما السلام وتقديس تربته وشم ترابه الذي شمهه رسول الله ﷺ[٢٤]، كما سيأتي فيما بعد، كان سلوكا إسلاميا بالمعنى العام قام به المسلمون أينما وجدوا أثرا للحسين، الحسين الذي قال في حقه رسول

الله ﷺ :حسين مني وأنا من حسين[٢٥].

ذلك القبر الذي ورد في ما ورد بفضله عن اسحق بن عمار قال سمعت الصادق عليه السلام يقول: موضع قبر الحسين منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة[٢٦].

أقول هذا هو تراثنا وهذه هي أدبياتنا فليس من المنطق أن يتبنى طرف ما، منطقا تعسفيا يرفض هذا التاريخ وهذه الأدبيات، فيطلق رياح التغيير برفض هذه الحقائق وهذه المتبنيات والأصول التاريخية التي بدت للبعيد والقريب إنها من الثوابت في صميم تراثنا الإسلامي.

أضواء على التربة الحسينية في البعدين التاريخي والروحي

كانت كربلاء[٢٧] والحائر الحسيني[٢٨] على ساكنه من الصلوات أفضلها ومازالت وستبقى، تمتلك من الأهمية الروحية والتاريخية في السماء وفي نفس النبي ﷺ والمسلمين من هالة التقديس الشيء الكبير، وقد جاءت الأخبار متظافرة في ذلك، حتى ضاهت باقي الأراضي المقدسة في هذه الأرض، يقول الأستاذ الكبير محمد رشيد رضا[٢٩] في بيان شأن هذه الأرض: يجب أن تدعى بالمدينة العظمى في كل العصور لأنها محط آمال العالم الإسلامي، وموضع أماني المسلمين لسعادة الدارين وهي التي يؤمها في السنة مئات الألوف من الزائرين من جميع الأقطار الإسلامية فيعكفون على ابوابها ويتهافتون على أعتابها إعظاما لبطل الابطال الثاوي بربعها[٣٠] انتهى.

- وفي رواية ثابت عن أنس قال استأذن ملك القطر ربه عز و جل أن يزور النبي ﷺ فأذن له وكان في يوم أم سلمه فقال النبي ﷺ يا أم سلمه أحفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد قال فبينما هي على الباب إذ جاء الحسين بن علي فطفر واقتحم فدخل فوثب على رسول الله فجعل رسول الله ﷺ يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه قال نعم قال أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه فأراه إياه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمه فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول إنها كربلاء[٣١].

- وفي رواية عبادة بن زياد ألأسدي حدثنا عمرو بن ثابت عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمه عن أم سلمه قالت كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي ﷺ

في بيتي فنزل جبريل فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك وأومأ بيده إلى الحسين فبكى رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله ﷺ وضعت عندك هذه التربة فشمها رسول الله ﷺ وقال ريح كرب وبلاء وقال رسول الله ﷺ يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوما تحولين دما ليوم عظيم[٣٢].

- وفي رواية شرحبيل بن مدرك، عن عبد الله بن نجي، عن أبيه، أنه سار مع علي، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى، وهو سائر إلى صفين، ناداه علي: اصبر أبا عبد الله بشط الفرات.

قلت: وما ذاك؟ قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وعيناه تفيضان، فقال: قام من عندي جبريل، فحدثني أن الحسين يقتل، وقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، فمد يده، فقبض قبضة من تراب. قال: فأعطانيها، فلم أملك عيني

- وفي موضع آخر للخبر عن يحيى بن أبي زائدة: عن رجل، عن الشعبي أن عليا وهو بشط الفرات انه نادى: صبرا أبا عبد الله.

وعن عمارة بن زاذان، حدثنا ثابت، عن أنس، قال: استأذن ملك القطر على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أم سلمه! احفظي علينا الباب "فجاء الحسين، فاقتحم، وجعل يتوثب على النبي ﷺ، ورسول الله يقبله، فقال الملك: أتحبه؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك لمكان الذي يقتل فيه. قال: نعم، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر، قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلاء[٣٣].

وقال محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد لما أجري الماء على قبر الحسين نضب بعد أربعين يوما وانتحى أثر القبر فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمه حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال بأبي وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك ميتا ثم بكى وأنشأ يقول... أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر[٣٤].

أقول هذه الروايات قد حفلت بها المجاميع الحديثية المعتبرة للمسلمين من العامة والخاصة ومن أراد التوسع في هذا الشأن، فليراجع كتاب سيرتنا وسنتنا سيرة النبي ﷺ

وسنته للعلامة الشيخ عبد الحسين الاميني، صاحب موسوعة الغدير الإسلامية، فان الرجل قام بجهد تاريخي واسع، جمع به الروايات والأخبار في شأن الحسين ومقتله، وشأن السماء كيف اعتنت بهذا اليوم، علما ان الشيخ الاميني; قد ثبت هذه الأخبار عن طريق مناقشة السند الرجالي ووسائط النقل والمتون، فراجع

وهنا وبعد التعرض الى هذه الأخبار كما أوردناها، السؤال ما الذي أحدثه يوم الحسين عليه السلام حتى جعل من هذه التربة التي أودعها رسول الله صلى الله عليه وآله عند أم سلمة أن تتحول الى دم عبيط برواية عبادة بن زياد الاسدي أعلاه، ثم أية تربة هذه التي تحمل من القداسة أن يحملها جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وأي بعد روحي لها أن يشمها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام برواية عبد الله بن نجي عن أبيه، ثم ان الروايات هذه وضحت البعد التاريخي لهذه التربة المقدسة والمنعوتة بالتربة الحمراء، وهنا أسجل عبارة الشيخ كاشف الغطاء قدس سره بقوله وهو يتحدث عن بعض آثار هذه التربة الواقعية فيقول ص٣٣ - ٣٤ : فإذا وقفت على بعض ما للأرض والتربة الحسينية من المزايا والخواص لم يبق لك عجب واستغراب اذا قيل ان الشفاء قد يحصل من التراب وان تربة الحسين عليه السلام هي تربة الشفاء. انتهى

ثم يستمر في بيان هذا الشأن العلمي للتراب وللتربة الحسينية بشكل خاص فيقول في ص٣٥: فلا تبادر إلى الإنكار إذا بلغك إن بعض المرضى عجز الأطباء عن علاجهم وحصل لهم الشفاء بقوة روحية وأصابع خفية من استعمال التربة الحسينية. انتهى،

وهنا أقف على هذه العبارة وقفة المتأمل، فكم في تاريخنا من الأخبار ما يشير إلى التراب كونه مادة استعملها السلف للشفاء في علاجاتهم فدونك ما يذكره الطبراني[٣٥]، قوله: حدثنا اسحق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن ابن جريح، أخبرني إبان عن النخعي عن علقمة، أن رجلا كان به جدري، فأمر بن مسعود فقرب تراب في طست أو(تور) فتمسح بالتراب.

أقول إن ابن مسعود وهو من إجلاء الصحابة وأحد القراء قد لجأ للتراب مستشفيا، فتأمل.

- ورواية أخرى عن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم بعد وفاته فأراه يقول: أحرف القرآن يا أسماء قلت: كذلك بأبي وأمي المحرف والمستقيم

فردد ذلك علي مرارا كل ذلك أقول: بأبي وأمي المحرف والمستقيم ثم قال لي: كيف بنوك؟ فقلت: يا رسول الله يقبضون قبضا شديدا فأراه نظر إلى بعض أزواجه كأنها حفصة بنت عمر فقال: أعطيها شفاء لأبنيها فأما السام فإني لا أشفي منه فأراها أعطتني حبة سوداء كالشونيز أو كحب الكراث وتراب أحمر وسمط من لؤلؤ قالت: فنحن إذا اشتكى أحد من ولد أسماء في القبائل كلها يؤخذ له قدح فيملأ ماء ثم يجعل فيه تراب أحمر وحب كراث وشونيز وسمط لؤلؤ ثم يسكب ذلك الماء عليه[٣٦] هذا من شأن التراب بشكل عام فكيف إذا كان تراب قبر الحسين عليه السلام الذي مس جسد حبيب حبيب الله الذي ورد في شأنه، قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام: إن رجلا قال للنبي انك تحبهما، فقال: من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني[٣٧]. وفي هذا الشأن ورد عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وآله بإصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها باسم الله تربة أرضنا بريقه بعضنا ليشفى به سقيمنا بإذن ربنا قال ابن أبي شيبة يشفى وقال زهير ليشفى سقيمنا.

(أرضنا بريقة) قال جمهور العلماء المراد بأرضنا هنا جملة الأرض وقيل أرض المدينة خاصة لبركتها والريقة أقل من الريق ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح[٣٨].

الخاتمة:

إن خلاصة البحث وقد انصبت على التربة الحسينية والحائر الطاهر في كربلاء بما يمتلك من بعد مقدس وروحي في نفوس المسلمين ينتهي إلى مجموعة من المفاهيم أهمها:

١- أن ظاهرة التقديس للتراب الطاهر والبقاع المشرفة في هذه الأرض لم يكن ظاهرة انفردت بها طائفة من المسلمين دون أخرى وإنما هو شأن إسلامي مارسه المسلمون بشكل عام على اختلاف الأزمان وتعاقب الدهور.

٢- أن للتربة الطاهرة والحائر الحسيني في كربلاء بعد روحي وتاريخي أسس له رسول الله ﷺ بصريح الروايات التي تناولتها كتب الحديث عند المسلمين.

٣- أن المسلمين وهم يقفون على قبر الحسين عليه السلام إنما يستذكرون القيم والقمم والشمم من تاريخنا الإسلامي الناصح في الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

هوامش البحث

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جامعة الشريف الرضي، (تح: السيد جعفر الحسني)، الناشر دار الثقلين ـ قم، ط الاولى ـ ١٤١٩هـ،ص١٨،الخطبة رقم ـ ١.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤) راجع المصنف في الأحاديث والآثار، لمؤلفه أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، الناشر مكتبة الرشد ـ الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ، ج٧، ص٤٧٧ ؛ وراجع أيضا مسند اسحق بن راهويه (تحقيق د. عبد الغفور عبد الحق البلوشي)، لمؤلفه اسحق بن إبراهيم بن راهويه، الناشر مكتبة الإيمان ـ المدينة المنورة، ط الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، ج٤، ص١٣٠.

(٥) سوف نتعرض لهذا الموضوع بعرض الشواهد التاريخية في المحور الثاني من البحث.

(٦) يقول الشيخ كاشف الغطاء: رادا على بعض التخرصات والأكاذيب التي تثار ضد اتباع اهل البيت 7: إن الشيعة لايزالون يهتفون ويعلنون في السنتهم ومؤلفاتهم ان السجود لايجوز الا لله تعالى وان السجود على التربة سجود له عليها لا سجود لها، راجع الصفحة ٣٦.

(٧) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٨) سورة الشورى: الآية.

(٩) سورة الرعد: الآية ٤.

(١٠) علي بن حسام (المتقي الهندي)، كنز العمال، الناشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٩م، ج١٣، رقم الحديث٣٧٠٩٠: ورجع ايضا سير اعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، ج١، ص٢٩٥، باب سعد بن معاذ.

(١١) ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تفسير البيضاوي، (قدم له محمد عبد الرحمن المرعشي)، دار احياء التراث، ج٥، ص٨٠.

(١٢) ابو بكر السيوطي، الخصائص الكبرى، الناشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥هـ، ج١، ص٣٩٦.

(١٣) ابونعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط الرابعة، سنة ١٤٠٥، ج٢، ص٢٥٨.

(١٤) نوري الدين السمهودي الشافعي، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى،مط الاداب والمؤيد ـ مصر، سنة الطبع ١٣٢٦هـ، الفصل العشرون (باب عمارة الحجرة التي فيهاقبره 9)، ص٣٨٥.

(١٥) وهو أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكتاني، الأندلسي، ألشاطبي، البلنسي، المولود سنة ٥٣٩هـ، رحالة معروف، قامت شهرته على كتابه الذي عرف (رحلة بن جبير)، الذي جاء من ثمرة ثلاث رحلات، استغرقت ثلاث سنوات وقد بدأها في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال سنة ٥٧٨هـ وختمها يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم سنة ٥٨١هـ.

(١٦) ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير، رحلة بن جبير، مط دار التراث بيروت، سنة الطبع١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ص٨٢.

(١٧) المصدر نفسه:ص٨٤.

(١٨) المصدر نفسه:ص٨٢.

(١٩) المصدر نفسه:ص٧٩.

(٢٠) أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير، رحلة بن جبير، مط دار التراث بيروت، سنة الطبع١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ص١٩.

(٢١) ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد، ط الأولى ١٣٥٢هـ، ج٥، ص٢٠٢.

(٢٢) الحافظ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص٤٦٠، باب ترجمة ابو اسحاق الشيرازي: ابن خلكان، وفيات الاعيان، مط مصر، ج٢، ص١٢٤(فقد ورد في هذا المصدر قوله(وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته ويتبركون به) فراجع.

(٢٣) ابونعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط الرابعة، سنة ١٤٠٥، ج٤، ص٣٠٦.

(٢٤) ابو بكر السيوطي، الخصائص الكبرى، الناشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥هـ، ج٢، ص١٩١.

(٢٥) احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند احمد بن حنبل، الناشر مؤسسة قرطبة، ج٤، ص١٧٢.

(٢٦) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، الناشر مؤسسة الوفا ـ بيروت، ج٩٨، ص١١١.

(٢٧) كربلاء. قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: كربلاء بالمد وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه في طرف البرية عند الكوفة فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين يقال جاء يمشي مكر

بلا فيجوز على هذا ان تكون ارض هذا الموضع رخوة انتهى ص٢٩٢ج السابع ط الأولى ١٣٢٤هـ مط السعادة مصر نسخة في مكتبة الجوادين.

(٢٨) الحاير أو الحائر: قال ياقوت في معجم البلدان (الحاير) بعد الألف ياء مكسورة وراء وهو في الأصل حوض يصب إليه مسيل الماء من الأمطار لان الماء يتحير فيه..... قال أبو القاسم هو الحائر الانه لا جمع له لأنه اسم لموضع قبر الحسين بن علي رضي الله عنه انتهى ج٧، ص٢٠٣، مط السعادة ط الأولى ١٣٢٤هـ.

(٢٩) هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ الإسلامي، صاحب مجلة المنار، ولد عام ١٢٨٢هـ وتوفي عام ١٣٥٤هـ في مدينة قلمون من أعمال طرابلس الشام. الاعلام للزركلي.

(٣٠) هذه الكلمة للأستاذ محمد رشيد رضا، في عام ١٩٤٩م عندما قرض بها كتب الأستاذ عبد الجواد (تاريخ كربلاء والحائر الحسيني)، فيذكر فيها الزائرين الذين يؤمون كربلاء من مختلف الأقطار ولكن في هذه السنوات شهد العالم ان العدد قد وصل الى أضعاف أضعاف هذا العدد وسيستمر هذا العدد بالزيادة.

(٣١) محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، (تح: شعيب الارنؤوط)، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية - ١٤١٤ه - ١٩٩٣م، ج١٥ص١٤٢،وورد هذا الخبر ايضا عند مسند احمد وكذلك ابو نعيم في معرفة الصحابة

(٣٢) يوسف بن عبد الرحمن الحافظ المزي، تهذيب الكمال (تحقيق د. بشار عواد معروف)، الناشر مؤسسة الرسالة، ج٦، ص٤٠٨، باب من اسمه الحسين.

(٣٣) الحافظ الذهبي، سير اعلام النبلاء، الموقع يعسوب، باب الحسين الشهيد، ج٣، ص٢٨٨.

(٣٤) يوسف بن عبد الرحمن الحافظ المزي، تهذيب الكمال(تحقيق د. بشار عواد معروف)، الناشر مؤسسة الرسالة، ج٦، ص٤٤٤، باب من اسمه الحسين.

(٣٥) سليمان بن احمد بن ايوب ابو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي)، الناشر مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ج٩، ص٢٥٣.

(٣٦) المصدر نفسه، ج٢٤، ص١٢٥.

(٣٧) الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، غاية المقتصد في زوائد المسند، الناشر مكتبة صيد الفوائد، ج٢، ص١٤٢٢.

(٣٨) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)،الناشر- دار احياء التراث العربي - بيروت،ج٤، ص١٧٢٤.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

- الأصبهاني: أبو نعيم

حلية الأولياء، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ

- البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر(ت ٩٦١هـ)

تفسير اليضاوي (تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشي)، الناشر - دار احياء التراث العربي.

- البيهقي: ابو بكر احمد بن الحسين بن علي (المتوفى ٤٥٨هـ)

السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الطبعة الاولى - ١٣٥٢هـ

- ابن جبير: ابو الحسن محمد بن احمد (ت: ٦١٤ هـ)

رحلة ابن جبير، مطبعة دار التراث - بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

- الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله(المتوفي ٦٢٦هـ)

معجم البلدان، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى - ١٣٢٤هـ

- ابن خلكان أبي العباس أحمد

وفيات الأعيان، المطبعة الميمنية - مصر، سنة الطبع ١٣١٠

- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله احمد بن عثمان (المتوفى ٧٤٨هـ)

سير اعلام النبلاء، المطبعة - مجلس دائرة المعارف - ١٣٣٣هـ

- ابن راهويه: اسحق بن إبراهيم (المتوفى ٢٣٨هـ)

مسند ابن راهويه (تحقيق د عبد الغفور عبد الحق البلوشي)، الناشر مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط الأولى - ١٤١٢هـ ١٩٩١م

- السيوطي: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي

الخصائص الكبرى، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ

- السمهودي: نوري الدين علي (ت: ٩١١ هـ)

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، المطبعة ـ الآداب والمؤيد ـ مصر، ١٣٢٦هـ

- ابن ابي شيبة: ابو بكر عبد الله بن محمد (المتوفى ٢٣٥هـ)

المصنف في الأحاديث والآثار (تحقيق كمال يوسف الحوت)، الناشر مكتبة الرشد ـ الرياض، ط الاولى ـ ١٤٠٩

ـ الطبراني: ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب (المتوفى ٣٦٠هـ)

المعجم الكبير(تحقيق حمدي بن عبد الحميد السلفي)، الناشر مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل، الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٤هـ

ـ الكليدار: د عبد الجواد

تاريخ كربلاء، المطبعة ـ المعارف ـ بغداد، ١٣٦٨هـ

ـ المتقي الهندي: علي بن حسام

كنز العمال، الناشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٩٨٩م

ـ المجلسي: محمد باقر (ت: ١١١١هـ)

بحار الأنوار، الناشر مؤسسة الوفا ـ بيروت ـ لبنان

ـ المزي: يوسف بن عبد الرحمن (ت: ٧٤٢ هـ)

تهذيب الكمال، (تحقيق د. بشار عواد معروف)، الناشر مؤسسة الرسالة

ـ الهيثمي: علي بن أبي بكر (المتوفى ٨٠٧هـ)

غاية المقتصد في زوائد المسند، الناشر مكتبة صيد الفوائد